مفهوم المعرفة التاريخية والاتجاهات الحديثة في كتابة التاريخ

The concept of historical knowledge and modern trends in writing history

أ.م.د. غصون مزهر المحمداوي

الجامعة المستنصرية - كُليّة الأداب – قسم التاريخ

Dr. Ghoson Mizher

College of Arts / Mustansiriyah University

المقدمة

إن الماضي الذي يبحث فيه المؤرخ ليس ماضيا ميتا، ولكنه نظرا للعديد من الاعتبارات مازال حيا في الحاضر، وإن كان الفعل أو الحدث الماضي، يعتبر ميتا دون معنى عند المؤرخ ما لم يستطع أن يدرك ويفهم الأفكار التي وراء هذا الحدث ، خاصة أن التاريخ مفهوم يشمل الماضي والحاضر والمستقبل معا ؛ فنحن عندما نحاول تشكيل معرفة حول هذا الماضي، فإننا في نفس الوقت ندرس الحاضر والمستقبل ، لأننا إذا دققنا النظر تبين لنا أنه لا شيء في الوجود يتلاشى ويضيع مع الزمن ، كما لا يوجد فاصل أو سبب منطقي يجعلنا نفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، على هذا الأساس فإن استحضار هذا الماضي ليس عملية سهلة ، لأن ذلك يقتضي توفر منهج خاص يعيد بناء الظاهرة التاريخية، انطلاقا من إخضاع الوثائق التاريخية لهذا المنهج الخاص ، حتى تتحول الوثيقة الصامتة الى وثيقة دالة.

إذا كان التاريخ هو ذاكرة الإنسان التي لا يمكن إغفال دورها في الحياة الإنسانية، وكانت الوقائع والأحداث المشكلة له، بنية غير معطاة تتطلب إعادة بنائها وتشكيلها، فكيف نفهم الصيرورة التاريخية للمجتمعات البشرية ؟ وبأي معنى تكون المعرفة بالتاريخ ممكنة وموضوعية ؟

ما يزال المؤرخ العربي في الكثير من الأقطار العربية يمارس كتابة التاريخ وفق نمط تقليدي قائم على سرد الوقائع وجمعها في مصنفات ومجلدات، تظل في الغالب الأعم حبيسة الرفوف ونادرا ما تقرأ. فالمتصفح للكتابة التاريخية العربية سواء أكانت كتبا منشورة، أو الأبحاث والدراسات الجامعية يلاحظ – ودن كبير عناء – أن الكتابة التاريخية العربية ما تزال حبيسة الرؤية التقليدية للتاريخ موضوعا ومنهجا، على الرغم من الدعوات التجديدية التي تظهر من حين لأخر هنا وهناك.

لقد آن الأوان ، ليخرج المؤرخون العرب من التقليد والروتين الى النظر لمشكلات الحاضر كمنطلق للبحث والتفكير في الماضي بغية المساهمة الفعلية في إيجاد حلول للمشكلات التي يمر بها الواقع العربي ، إنها دعوة صريحة إلى كل المهتمين بالكتابة التاريخية في الوطن العربي لتجاوز التاريخ السردي، والعمل على تأسيس تاريخ نقدي /إشكالي يبحث في المشكلات الراهنة للمجتمع اعتمادا على مقاربة علمية ونقدية لا ترى في دراسة الماضي هدفا في حد ذاته، بل مدخلا لفهم أفضل لمشكلات الحاضر، وأداة لا عادة بناء علاقة جديدة مع الزمن التاريخي، وفي ضوء ذلك ، يمكن القول بان التاريخ ليس فقط يعيد نفسه ، بل للتاريخ دور في استشراف المستقبل ومعالجة المشاكل التي يعاني منها الواقع الحالي . ولذلك فهذه الدراسة تحاول تقديم إطار نظري حول مفهوم التاريخ واليات تعامله مع الاحداث الى جانب عرض الاتجاهات الحديثة في كتابته ،كما سيسلط الضوء على مفهوم المعرفة التاريخية في ظل كتابات اهله ورواده ، وما توصلوا اليه من خلال طروحاتهم الفلسفية .

المبحث الاول: مفهوم المعرفة التاريخية

اشار بول ريكور (P.Ricoeur) [١] ، أن المعرفة التاريخية معرفة مبنية حسب منهج مفكر فيه من طرف المؤرخ ، فالمنهج العلمي له خصائصه ومميزاته ، كما أن للمنهج التاريخي توجهاته وأدواته

[١] بول ريكور P.Ricœur : فيلسوف فرنسي وعالم إنسانيات معاصر ولد في فالينس، شارنت، ٢٧ فبراير ١٩١٣، وتوفي في شاتيناي مالابري، ٢٠ مايو ٢٠٠٥. هو واحد من ممثلي التيار التأويلي، اشتغل في حقل

التي تتمثل في الوثيقة التاريخية، كأداة دالة على فعل معين يمكن تفسيره وتحليله بمنطق علمي اعتمادا على مبادئ علمية تؤدي لا محالة إلى نتائج موضوعية، وبالتالي فمن الضروري اعتماد الممارسة المنهجية العلمية للوصول إلى المعرفة التاريخية[٢] .

أما ريمون أرون (R.Aaron) [٣] ، فيقر وبشكل صارم كون المعرفة التاريخية بالماضي معرفة صعبة ومستعصية وتتطلب جهدا كبيرا وتوظيفا لعدة وسائل وعمليات تحليل وتفسير وفهم ونقد لأن أساس الحاضر هو الماضي هذا الحاضر الذي تسهل علينا معرفته لأن هذه المعرفة تلقائية وعفوية في حين يعتبر الماضي الغابر ماضيا مجهولا خاصة عندما نريد إعادة بنائه لكون الماضي مليء بمجموعة من الدلالات والرموز التي لا نستطيع فهمها كما نحن نفهم العالم الذي يحيط بنا بمختلف تجلياته ومكوناته [٤].

لقد وصل تطور الكتابة التاريخية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى مرحلة غطت فيها كافة مجالات النشاط الإنساني تقريبا ، فقد كتب المؤرخون المسلمون في السيرة النبوية ، والمغازي ، والطبقات (أي أجيال الناس الذين أسهموا في خدمة الأمة من أبناء مهنة واحدة ، أو ممن يشتركون في ممارسة فكرة بعينها) ، والتراجم ، والتاريخ الإسلامي العام، وفضائل البلدان، والفتوح ، والخطط ، وتواريخ المدن، والتاريخ الاجتماعي ولا تكاد تجد فرعًا من فروع المعرفة التاريخية إلا وكتب فيه المؤرخون المسلمون؛ وفضلاً عن ذلك أنتج الفكر التاريخي الإسلامي بعض من كتب في تاريخ التاريخ (من أمثال شمس الدين السخاوى ، والكافيجي، والذهبي، والسيوطي) ، وفى فلسفة التاريخ (مثل

الاهتمام التأويلي ومن ثم بالاهتمام بالبنيوية، وهو امتداد لفرديناند دي سوسير ،ينظر الموقع التالي https://ar.wikipedia.org/wiki

[٢] شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقي ، دمشق، ١٩٤٩، ص٦-٧.

[٣] ريمون أرون R.Aron: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، ولد ١٤ آذار سنة ١٩٠٥ في مدينة باريس وتوفي سنة ١٩٨٣. ركز في فكره على نفي ما هو خارج الوجود المادي وما يقع خارج نطاق الخبرة والمعرفة، واهتم كذلك بالمجتمع الصناعي الحديث ورأى أن العامل الأساسي في حركة المجتمعات ليس هو الصراع الطبقي فحسب، بل هناك صراع النظم السياسية الذي رأى أن تأثيره أعظم بكثير من الصراع الطبقي ، كما تطرق كذلك في كتاباته إلى العلاقات الدولية والتناقضات الفلسفية والنواقص في الديمقراطية الغربية.

[٤] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، الجزء الأول، ص.٩.

ابن خلدون). وهذه الحقيقة بحد ذاتها تكشف أن المفهوم الحضاري في التراث التاريخي عند المسلمين قد اتسع ليشمل بالفعل كافة أنماط النشاط الإنساني.

والعصر الذى يبدو متحفا يضم كافة أنماط التدوين التاريخي في الحضارة العربية الإسلامية هو عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٢هجرية / ١٢٥٠-١٥١٧م) . والواقع أن دولة سلاطين المماليك التي حكمت مصر وفلسطين والشام والحجاز وبعض مناطق العراق وجزر البحر المتوسط بشكل مباشر، والتي كانت قوة إقليمية وعالمية عظمى في ذلك الزمان ، قد شهدت نشاطًا علميا وفكريًا واسع النطاق بسبب ظروف العالم الإسلامي التي جعلت العلماء والمفكرين من المشرق والمغرب يهاجرون إلى بلاد الدولة المملوكية حيث الأمان. لقد كان التوهج العلمي والثقافي الذى شهده ذلك العصر المتوهج الأخير في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. وفى ذلك العصر ، تجسد مفهوم «الحضاري» في مجال الفكر التاريخي بشكل متكامل . فقد تنوعت أنماط الكتابة التاريخية كما أوضحنا من قبل ؛ كما استخدم التاريخ في خدمة المجتمع وتلبية حاجاته الثقافية الاجتماعية [٥] .

المبحث الثاني: هل لدينا منظور حضاري للتاريخ ؟

إن قراءتنا الحالية للتاريخ قراءة ماضوية تهرب من مواجهة مسئوليات الحاضر والمستقبل، وبسبب الأجواء السياسيَّة وتقيد الحريات تجعل القدرة على قراءة تاريخنا قراءة واعية غير ممكن ؛ بل إن التاريخ مطارد في المدارس والجامعات .

من ناحية أخرى يشير التاريخ عند (ابن خلدون) الى صيرورة العمران الاجتماعي البشري حيث يعتبر المعرفة التاريخية نظرا عقليا في أحوال الذين عاشوا قبلنا وتحليل أفعالهم وحوادثهم عن طريق استعمال معياري العقل والحكمة كما يؤكد ابن خلدون على ضرورة تجاوز التوقف عند سرد الأحداث والوقائع والأخبار والايام وكيف كان الأخرون يعيشونها بالانتقال الى إتباع القواعد وسبر الأغوار ونقد ما هو متداول والتحقيق فيه باتباع المنهج العلمي حتى يستطيع الإنسان والعالم بصفة خاصة تجاوز المغالطات العديدة التي وقع فيها المؤرخون والمفسرون وأئمة النقل[٦].

---

[٥] المصدر نفسه ، ص ٩١.

[٦] ينظر الموقع التالي https://ar.wikipedia.org/wiki

ويأتي الفيلسوف (هنري مارو) ليعزز موقف (ابن خلدون) حيث يرى أن المعرفة التاريخية ليست عملا أدبيا أو وصفا أو إعادة كتابة إنما هي معرفة علمية ينشئها المؤرخ اعتمادا على منهج علمي دقيق وصارم يقول هنري في تعريفه للتاريخ:" التاريخ هو المعرفة العلمية المكونة عن الماضي ... وإن كنا نتحدث عن العلم بشأن التاريخ فإنما ذلك في تعارض مع المعرفة العامية التي تستند إلى التجربة اليومية فالمعرفة التاريخية هي معرفة مبنية تتشكل تبعا لمنهج منظم وصارم يمثل العامل الأنجح لبلوغ الحقيقة .[٧]

كارل ماركس(karl MARKS)[٨] ، أسس نظريته التاريخية على أساس مادي، حاول من خلاله وضع فلسفة في التاريخ تقوم على ربط التطور التاريخي بالتطور الاقتصادي للمجتمع، ونتج عن ذلك الربط تفسير التاريخ أساس من خلال السيطرة على وسائل الإنتاج، والتي تمكن طبقة اجتماعية معينة من فرض أفكارها ونفوذها الاجتماعي على طبقة كانت مهيمنة. ليثبت أن حركة تقدم التاريخ تقوم على مبدأ التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج التي تنتهي بميلاد مجتمع جديد، وبالتالي تاريخ جديد..

إذا كان ماركس يرى أن التاريخ البشري محكوم بتقدم، هو في حقيقته تتال لأنماط إنتاج تفهم باعتبارها مراحل تقود إلى بعضها البعض عبر الصراع كمحرك أساسي للتاريخ، فإنه يمكن الاعتراض على هذا التصور، لأنه يحصر تقدم التاريخ في اتجاه مغلق ومعلوم. فمن شأن القبول بفكرة التقدم الآلي والمحكوم مسبقا بمآل حتمي، أن يقتل دور الإرادة والوعي البشري في تحقيق وإثبات وجوده. لهذا حافظ موريس ميرلوبونتي على مسافة نقدية مع الماركسية في تصورها للتاريخ، مؤكدا في كتابه "المعنى واللامعنى le sens et le non sens" على أهمية العرضية والصدفة في حركية التاريخ ، فما يكون مقررا ومخططا

---

[٧] شمس الدين السخاوي، المصدر السابق ، ص٩.

[٨] كارل ماركس فيلسوف ألماني، يهودي الأصل، سياسي، وصحفي، ومنظّر اجتماعي. قام بتأليف العديد من المؤلفات الا ان نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ اجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، و يعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي https://ar.wikipedia.org/wiki .

له من قبل ، لا يعني أنه سيتحقق بالضرورة ، لأن النظر إلى التاريخ كنسق، لا يجب أن يكون منغلقا بصفة نهائية [٩].

لقد اتسم تصور ماركس للتاريخ بمقاربة مادية تعتمد على التحليل الملموس للواقع الملموس ، اعتمادا على العلاقة المتضادة بين كل من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ، وكذا الصراع الطبقي الذي تولده هذه الأخيرة بين الطبقة البورجوازية التي تملك وسائل الإنتاج ، والطبقة البروليتارية التي لا تملك إلا قوة عملها.

اما هيجل[١٠] ، يؤكد على أن الإنسان ليس سوى وسيلة في يد التاريخ. فمكر هذا الأخير يجعل الإنسان يعتقد أنه صانع التاريخ ، غير أنه لا ينفذ سوى إرادته وفق مسار الروح المطلق ، فالواقع التاريخي بجميع أحداثه وأفكاره معقول لأنه ليس شيئا آخر سوى العقل متجسدا وحالا في روح هذا الشعب أو ذاك من الشعوب التي عرفها التاريخ ، حيث تبدو الشعوب و الرجال العظام أدوات في يد العقل الكوني ، يحقق بها غايته و خطته..

بالرغم من أهمية التصور الهيجيلي للعقل كقوة لا متناهية متطورة ومنفتحة على نقائضها، فقد ظل العقل لديه يتميز بطابع روحي ، بعيدا عن مختلف التصورات المتعارف عليها في ميدان العلم ، فهيجل في وصفه للعقل ، لا نجد أنه يقدمه كقدرة فردية ذاتية ، وإنما كعقل إلهي أو كفكرة مطلقة ، بل أكثر من ذلك نجد أن هيجل قد أوقف حركة العقل وتطوره. على هذا الأساس تعرض هذا التصور المثالي للتاريخ لانتقادات متعددة، على رأسها كارل ماركس الذي رأى في الجدل الهيجلي النواة الأساسية للتطور التاريخي، لكنه جدل يمشي عل رأسه، وقد وجب قلبه حتى يمشي على قدميه؛ لذا اقترح ماركس تصورا ماديا للتاريخ البشري الذي يقوم على صراع طبقي يكون فيه دور الفرد محكوما بشروط اقتصادية، وظروف خارجة عن إرادته [١١].

---

[٩] شمس الدين السخاوي، المصدر السابق ، ص١٠.

[١٠] هيجل ولد ٢٧ أغسطس ١٧٧٠ — ١٤ نوفمبر ١٨٣١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة، في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي https://ar.wikipedia.org/wiki

(١١) شمس الدين السخاوي، المصدر السابق ، ص١١.

اما كلود ليفي ستراوس [١٢] ، يميز التقدم البشري بكونه يتم عبر تحولات وقفزات فجائية، وهذا ما تؤكده المعارف ما قبل التاريخية والحفرية، حيث أثبتت وجود أنماط حضارية مختلفة في المكان الواحد ، وفي هذا السياق شبه ستراوس مسار التقدم البشري بلاعب الشطرنج الذي يستطيع اللعب في عدة اتجاهات مختلفة، وهكذا فالتطور البشري ليس تطورا خطيا بقدر ما هو قفزات ووثبات لا تكمن في الذهاب دوما. و يعتبر أن الإنسان يتعرف على كينونته من خلال صيرورة التاريخ. إذ إن المبدأ الذي اعتمد عليه سارتر يتأسس على حقل الفلسفة الوجودية التي تمثل وجه التمرد على جل المذاهب، باعتبار الإنسان حر في اختيار ماهيته داخل حدود النوع الإنساني ، انه مشروع دائما لا يحقق أبدا ذاته فهو دائم الخروج من ذاته ليسجلها على المادة ويطبعها بطابعه الخاص، صانعا بذلك تاريخه متى تمكن من شروط هذه الصناعة التي أساسها الحرية والوعي [١٣].

يؤكد جيل غاستون غرانجي (G.Granger) [١٤]، أنه لا يجب الخلط بين التاريخ وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والاقتصاد، لأن التاريخ ليس واحدا من العلوم الإنسانية...، فقد يتأرجح المؤرخ بين هذه العلوم جميعا دون أن يتبنى أحدا منها، مما يجعل من التاريخ تخصصا متميزا، إن التاريخ لا يهتم ببلورة نماذج خاصة بالظواهر كما تفعل العلوم، لأنه يسعى إلى بناء الوقائع نفسها التي كانت في الماضي، فالتاريخ في نظر غرانجي ليس علما، وإنما هو أحد الفنون المتأرجحة بين الرواية والعلوم الاجتماعية، فمن خلال نزوعه الجمالي يقترب التاريخ من الرواية، ومن خلاله بعده الصوري يقترب من العلوم الاجتماعية، كما يمكن القول بأن التاريخ ليس علما لأنه ليس معرفة تقنية، أو لأنه تقنية تسعى إلى إعادة بناء الماضي ، وذلك ما يحوله إلى أيديولوجيا رغم بعض المساعي التي تحاول أن تنزع به نحو الموضوعية.

---

(١٢) يعد كلود ليفي شتراوس من أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، بل ان البنيوية ترتبط باسمه ارتباطا مباشرا، وهذا ما جعل الباحثين يطلقون عليه عدد من الألقاب التي تشير إلى مدى تأثيره وتأثره بالبنيويين والبنيوية عموما، فلقب بعميد البنائيين، أو شيخ البنيويين، أو البنيوي الأول، أو رائد البنيوية المعاصرة، أو اكبر مهندسي الفكر في العصر الحديث.... https://ar.wikipedia.org/wiki

(١٣)جيل غاستون غرانجي فيلسوف وأستاذ في كوليج دو فرانس (Collège de France). من مؤلفاته: Essai d'une philosophie du style (1969), La Vérification (1992), Le Probable, le possible et le virtuel (1995) et L'Irrationnel (1998). https://ar.wikipedia.org/wiki

(١٤)Henri-Irénée Marou, De la connaissance historique, édition Seuil, pp.32-33.

اما هنري إريني مارو Henri-Irénée Marou [١٥] ، يتجاوز مارو التصور التقليدي الذي ساد حول مفهوم التاريخ باعتباره مجرد سرد لأحداث الماضي ، أو عملا أدبيا يهدف إلى إعادة حكي هذا الماضي، كما لا يمكن للتاريخ أن يكون مجرد تمثلات خاطئة ومزيفة، تتبني على المزج بين الحكايات والتقاليد الشعبية والأسطورية، مركزا في ذلك على مفهوم المعرفة العلمية التي يقصد بها الحقيقة التي ليس من السهل بلوغها؛ فبناء التاريخ لا يتحقق -حسب هنري مارو- إلا بالمجهود الأكثر صرامة وتنظيما، حتى نتمكن من تعريف التاريخ بكونه "**هو المعرفة العلمية المكونة عن الماضي**".

يمكن القول إذن، إن المؤرخ الفرنسي يسير في اتجاه رفض وإنكار لما يسمى بالحقيقة التاريخية وإمكانية استعادتها كما هي ، من خلال قراءة النصوص الأدبية وغير الأدبية؛ فالحقيقة التاريخية قد تلاشت مع تلاشي اللحظة التاريخية التي ولدت داخلها، ولم نعد نملك إلا سرديات وروايات ورؤى عن التاريخ والحدث التاريخي، ولا يمكن لهذه المقاربات والتمثلات للحقيقة التاريخية أن توصلنا إلى نقطة فهم صحيحة، لأنها نفسها لم تكتب بصيغة موضوعية ومحايدة ، وإنما كتبت وصيغت من خلال تداخل لحظة بناء المعرفة التاريخية بلحظة كتابتها ، رغم أن اللحظتين تظلان منفصلتين من الناحية المنطقية.

اعتمد هنري مارو على مجموعة من الآليات للاستدلال على قوة أطروحته من خلال طرح السؤال: "ما التاريخ؟" كأداة لفتح النقاش حول هذا المفهوم بهدف تحديد دلالته؛ فيقترح الإجابة التالية: "التاريخ هو معرفة الماضي الإنساني"، إلا أنه سرعان ما يتجاوز هذا التعريف لكونه يمكن أن يشمل المعرفة العامية المتمثلة في الروايات والحكايات الشعبية والأسطورية؛ فيضطره ذلك إلى تحديد دلالة المعرفة باعتبارها فحص نقدي ومساءلة مستمرة لأحداث ووقائع الماضي، تتميز عن الحكي والسرد، ولا يمكن أن تكون عبارة عن عمل أدبي يروم كتابة الماضي فقط .

المبحث الثالث: مفهوم التاريخ والاتجاهات الحديثة في كتابته

مر مفهوم التاريخ بمراحل كبرى، شأنه في ذلك شأن أي معرفة إنسانية، تتطور و تتغير مع تطور حياة الإنسان. لذلك تعددت تعريفاته فمنهم من يجده "كيف يعيش الناس، وكيف يؤثرون على عالمهم، وما هو الشي ء الذي أتوا به وأبدعوه، وما هو مقدار ما نعلمه من كل ذلك ". و يعرفه أخرون بأنه "الحوار بين الماضي والحاضر" ، و طرف ثالث يوضح بأنه "حكاية الحوادث الماضية المتعلقة

---

[١٥] Henri-Irénée Marou, De la connaissance historique, édition Seuil, pp.32-33.

بحياة الانسان على الأرض " ، في حين يذكر السخاوي في كتابه المعروف «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ»، أن التاريخ في اللغة هو الإعلام بالوقت [١٦]، وقد ثار جدل بين المتخصصين حول أصل كلمة «تاريخ»، فمنهم من أكد أنها لفظ عربي قديم، ومنهم من أفاد بأنها كلمة وجدت في اللغة السامية أيضاً ، وقيل كذلك أنها عُربت من الكلمة الفارسية «ماء روز»، أي بداية القمر، أو بداية ظهور الهلال[١٧].

أما المفهوم الاصطلاحي، فيذكر ابن خلدون في مقدمته أن التاريخ "**في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق**". ويكشف ابن خلدون كذلك، عن المغزى الحضاري للتاريخ باعتباره "**أداة تمكننا من كشف مراحل تطور البشرية**" [١٨].

ومن الضروري أن نفرق بين كلمة التاريخ History التي يدل معناها على مسيرة البشر الجارية منذ الأزل، وكلمة تدوين التاريخ Historiography التي تعبر عن الفاعلية الفكرية الإنشائية لكتابة التاريخ ، في محاولة لاستجلاء ماهية التاريخ وأهميته وعلميته ومصادر كتابته، واتجاهات تفسيره، يتناول (الشلق) العلاقة بين الإنسان والتاريخ، ويصفها بأنها "**علاقة جدلية**"، فكلاهما يؤثر في الآخر، فالإنسان هو منفذ الفعل التاريخي وأداة صنع التاريخ ، لذلك يبدو واضحاً الارتباط بين الإنسان – بوصفه صاحب الفعل التاريخي – والتاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الإنساني ، ويناقش العلاقة بين التاريخ والتراث ، فيشير إلى ما سماه "**ثورة صامتة**" في الدراسات التاريخية ، والتي شهدها القرن العشرون حين زاد الاهتمام بدراسة نواحي النشاط الإنساني كافة عبر العصور، وتعدّدت فروع الدراسات التاريخية في شكل كبير، وهكذا انتقل الفكر التاريخي عبر رحلة طويلة من الأسطورة إلى التسجيل الرسمي ثم إلى التاريخ الشعبي، لتسجل الشعوب رؤيتها لتاريخها في فنونها الشعبية في أشكالها المختلفة ، ويؤكد المؤلف – وعلى رغم الفارق الجوهري بين التاريخ الرسمي والتسجيل الشعبي – أن استعادة الحدث التاريخي من الماضي من خلال المصادر التاريخية التقليدية من وثائق وآثار وكتب الرحالة

---

[١٦] شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٩، ص.٦-٧.

[١٧] المصدر نفسه.

[١٨] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، الجزء الأول، ص.٩.

والمؤرخين المعاصرين للأحداث (الإخباريين)، فإن هذه الصورة تظل «باهتة لا حياة فيها»، ما لم نفهم أهل العصر الذي ندرسه من خلال العودة إلى التراث الشعبي الذي يعد مصدراً مهماً للمؤرخ الذي يدرس التاريخ الاجتماعي أو التاريخ الثقافي لأي أمة من الأمم [١٩].

هذه التعريفات على اختلافها تجمع على أن المقصود بالتاريخ هو التاريخ البشري ، ذلك أن الانسان هو الذي يصنع الحضارة ويؤثر في البيئة وبذلك فهو وحده من يوجد التاريخ. من الجانب الآخر نجد أن التاريخ البشري يشتمل على العديد من الممارسات البشرية. فهناك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفنية والسياسية، إلا أن علماء التاريخ يركزون دائما على الجانب السياسي من التاريخ البشري. ويرجع هذا التركيز الى أن السياسة هي الباحث الرئيسي لصناعة التاريخ. على اعتبار ان تعاقب الحكام يتبعه الى حد كبير تغيير في العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وغيرها في المجتمع، ومن هنا كان التركيز على التاريخ السياسي [٢٠].

يتضح أن دائرة عمل المؤرخ تقع ضمن الحوادث البشرية الماضية، من ذلك ينبغي أن ندرك أن المؤرخ لا يرى الحوادث وقت وقوعها. والمؤرخ يحاول أن يربط بين ما خلفه الا وائل من آثار وبين ما كتب عنهم ليصل في النهاية الى توثيق تاريخي لتلك الحقبة من الزمن أو الحوادث أو الشخصيات. ويبدو جليا أن مهمة المؤرخ الأولى هي التقص في الحقائق التاريخية وبيان صحتها من عدمه.

إن الحرية في الكتابة عنصر مهم للمؤرخ فإذا جاء تسجيل هذه الحوادث وقت حدوثها مزيفا بسبب فقدان حرية التعبير فإن تاريخ تلك الأمة سيكون مزيفا أيضا.

من الجدير بالذكر إن مناهج البحث التاريخي، التي نعرفها، قد شهدت مسيرة تطوير، ربما تكون الأكثر إثارة للاهتمام بين فروع البحث الاجتماعي كافة. وهذا التطوّر في مناهج البحث التاريخي لم يكن، بأي حال من الأحوال، بعيداً عن سياق إعادة تشكيل منظومة واسعة من الرؤى الفلسفية على نطاق كوني. ومن هنا، يبدو من الراجح النظر إلى تطوّر الدراسات التاريخية على أنه حاجة لا غنى

---

[١٩] حسن عثمان الشلق ، منهج البحث التاريخي. القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠،.

[٢٠] عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،الجزء الأول ، ط٣،١٩٩٧،ص ١٨٧.

عنها لمجتمع دارسي الحقول الاجتماعية تقليدياً، ونحتْ دراسات التاريخ إلى تقسيمه إلى قديم ومعاصر وحديث [٢١].

وجرت العادة على الرجوع إلى هذا التقسيم في دراسة تاريخ الأمم، والنظم الاجتماعية والسياسية، بل والعلوم أيضاً. وفي أوائل مقررات التاريخ، غالباً ما يدرس الطالب هذه التقسيمات، من حيث نطاقها الزمني، وفلسفتها، والهدف من اعتمادها. وفي سنوات لاحقة، أو في الدراسات العليا، يجري تدريس مناهج البحث التاريخي وتطبيقاتها. وهذا يعود لتفاوت الأولويات بين الجامعات المختلفة.

ومن المفيد الإشارة إلى إن مناهج البحث التاريخي، التي نعرفها، قد شهدت تطورات، ربما تكون الأكثر إثارة للاهتمام بين فروع البحث الاجتماعي كافة. وهذا التطوّر في مناهج البحث التاريخي لم يكن، بأي حال من الأحوال، بعيداً عن سياق إعادة تشكيل منظومة واسعة من الرؤى الفلسفية [٢٢] .

ورافق هذا التطور ثمة حاجة ملحّة الى استعادة الثقافة التاريخية، وإعادة التفكير في المفاهيم والمعاني والمصطلحات المتعلقة بالتاريخ وكتابته وتفسيره ، خاصة في مرحلة انفجرت فيها الأحداث وتدافعت، ولعبت فيها التكنولوجيا الحديثة دوراً خطيراً، ليس فقط في دفع حركة الجموع لتصنع التاريخ منذ ٢٥ كانون الثاني (يناير) ٢٠١١، لكن في أساليب التسجيل والتوثيق والتدوين [٢٣].

ولأن كتابة التاريخ «صناعة لها شروطها وأدواتها»، فليس كل كاتب مؤهلاً لأن يكتب التاريخ كتابة علمية. ينطلق الشلق في شرح المقصود بتفسير التاريخ من خلال التمييز بين مسألتي "**التعليل والتفسير**"، فضلاً عن مسألة أخرى مهمة هي "**الموضوعية**" ، ومما يلاحظ عند تفسير المؤرخ للماضي،

---

[٢١] مسعود ضاهر، بروديل والنظرية المتوسطية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد٤٣، ١٩٨٧، ص ٣١.

[٢٢] Poul Antoine Miquel , Epistémologie des sciences humaines ,édit Nathan , 1991 ,p 36.

[٢٣] سمير عبده ، صناعة تزييف التاريخ ، دمشق ، دار الكتاب العربي ،١٩٨٩،ص ٢٢.

أن فكره الفلسفي يلون ذلك التفسير، والخلاف بين المؤرخين اختلاف في الأيديولوجيات أو العقائد، (وذلك لا يلغي الموضوعية)، وفق تعبير المؤلف [٢٤].

فالموضوعية في التاريخ تعني تسجيل الوقائع وتصويرها بدقة من وجهة نظر المؤرخ، وعلى رغم ما يبدو من أن هذه الفكرة تهدم الموضوعية ذلك أن التفسيرات التاريخية نتيجة اختلاف وجهات النظر لدى المؤرخين، لا يلغي بعضها بعضاً، وإنما يكمل بعضها البعض، وهذا أمر ضروري طالما لا يمكن تحقيق الإجماع، وطالما أن التاريخ (تاريخ فكر) لا وقائع.

وتجدر الإشارة إلى ملحقين مهمين ضمَّهما الكتاب: الأول، يتناول كتاب (قراءة التاريخ، تطور الفكر والمنهج) لقاسم عبده قاسم، ويقدم صورة تاريخية عن كيفية قراءة التاريخ من خلال تطور المنهج نفسه، ويبدأ بقضية مهمة وهي قضية قراءة التاريخ لا كتابته، ومن خلال رصد التطورات التي مرت بها يسجل حقيقة مؤداها أن التاريخ الذي يحدث مرة واحدة خلال رحلة الإنسان عبر الزمان، كانت تتم قراءته مرات ومرات في صور وتفسيرات متنوعة لخدمة أهداف الجماعة الإنسانية. وينبه إلى أن هذا ليس تزييفاً للتاريخ أو قولبة، وإنما هو محاولة للبحث عن العناصر التي يمكن التركيز عليها وإبرازها بتأثير من مصالح الجماعة الإنسانية وأهدافها في الحاضر والمستقبل [٢٥].

ويزيد قاسم معنى كلمة قراءة التاريخ وضوحاً عندما يذكر أن التاريخ (يحدث) ولا (يكتب)، وهو يحدث مرة واحدة فقط ، وتبقى كل حادثة ، أو ظاهرة تاريخية في محطتها الزمانية وإطارها المكاني بحيث لا يمكن نقلها أو تكرارها أو إعادة إنتاجها في شكل ما، والحديث عن كتابة التاريخ إنما يعني التسجيل الجزئي لأحداثه، أما قراءته فتعني محاولة تفسيره لخدمة الحاضر والمستقبل[٢٦].

---

[٢٤] مصطفى الخصاضي، قضايا ابيستيمولوجية وديداكتيكية في مادتي التاريخ والجغرافيا ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة، ٢٠٠١، ص٤٤.

[٢٥] مشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يافوت، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، الطبعة ١، ١٩٨٦،ص ٥.

[٢٦] اندري بورغير، الانتروبولوجية التاريخية، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل،العدد ٥،١٩٩٤ ص١٠٢.

ويخصص الشلق الملحق الثاني للحديث عن كتاب (المؤرخون والدولة والسياسة في مصر القرن العشرين) ، تأليف أنتوني جورمان، مهتماً بتاريخ الحركات السياسية وكتابات المؤرخين في مصر والشرق الأوسط ، ويكتسب كتاب جورمان أهمية خاصة بحكم طبيعة موضوعه، وهو تقويم الكتابة التاريخية للمؤرخين المصريين خلال القرن العشرين، " **فلا تزال المكتبة التاريخية تعاني من نقص شديد في هذا المجال، فباستثناء بعض المؤلفات التي وضعها أساتذة أجانب مثل جاك كرايس جونيور، ورول ماير، وآرثر شميث وإيمي جونسون وباراك سالمون، لا نكاد نرى لكتابنا في مصر سوى بعض الكتابات القليلة** "[٢٧].

ومن الفصول المهمة في الكتاب، دراسته كتابات المؤرخين غير الأكاديميين واتجاهاتهم ومناقشة ما سماه (التاريخ في الشارع)، فصيل من المؤرخين ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر من فئات غير المهنيين، كالصحافيين والمحامين والمعلقين السياسيين والمفكرين ورجال الأحزاب، رأى جورمان أنهم لعبوا دوراً مؤثراً في الدوائر الأكاديمية، ويصف كتاباتهم بأنها (تتسم بالمرونة)، وأنها (نابضة بالحياة) على رغم معاناتهم من الرقابة ومن المضايقات السياسية أكثر من الأكاديميين [٢٨].

كما ظهرت مدارس واتجاهات تاريخية متعددة لعل أهمها المدرسة الوثائقية١ التي تأثر روادها بالفلسفة الوضعية التي سادت أوربا خلال القرن التاسع عشر ، فقد دعا رواد هذه المدرسة التاريخية إلى ضرورة اعتماد الوثيقة في كتابة التاريخ. فالتاريخ يصنع بالوثائق، ولا تاريخ بدون وثيقة كما قال مؤرخي هذه المدرسة لانجلو وسينوبوس [٢٩].

مع مطلع القرن العشرين، أصبحت المدرسة الوثائقية عرضة لكثير من الانتقادات الشديدة من قبل جيل جديد من المؤرخين الشباب في فرنسا على وجه الخصوص أمثال لو سيان فيفر ومارك بلوك، الذين نفخا روحا جديدة في الدراسات التاريخية. حيث استغلوا مجلة التركيب التاريخي (la revue de synthèses historique) لتوجيه انتقادات شديدة الذين ركزوا في كتابة التاريخ على الوثيقة

---

[٢٧] أنظر مقال الأستاذ محمد العيادي،الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية،مجلة أمل،العدد١٥،١٩٩٨،ص٣٨.

[٢٨] إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة، دار التنوير، بيروت ١٩٨٤، ص ١٩.

[٢٩] سلوى عبد الحليم ، ما التاريخ وكيف نفسّره؟» . بين المنهج والسلطة والاتجاهات، الحياة ، صحيفة ، السبت، ٢ أبريل/ نيسان ٢٠١٦.

التاريخية بمفهومها الضيق، ونادوا بضرورة انفتاح الدراسات التاريخية على العلوم الأخرى. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي (لوسيان فيفر): "**سيساهم في كتابة التاريخ اللغوي والأديب والجغرافي والقانوني والطبيب وعالم الأجناس والخبير بمنطق العلوم...الخ** "[٣٠].

ومع انفتاح التاريخ على العلوم الأخرى، سواء الإنسانية منها أو الدقيقة، تمكن المؤرخون من التزود بأدوات بحث جديدة جعلتهم يعيدون النظر في كثير من الوقائع التاريخية، ويطرحون أسئلة جديدة ومشكلات تاريخية لم تكن إلى عهد قريب في متناول المشتغلين بالتاريخ. لقد نظر الثنائي لوسيان فيفر ومارك بلوك إلى الكتابة التاريخية على أنها طرح للمشكلات الكبرى للإنسان (Histoire-Problems) في سياق الزمن التاريخي الطويل ، وذلك بنية إخراج الكتابة التاريخية من نمطية الحدث السياسي والوقائع الضيقة ، حيث لم يهتم المؤرخون سوى بكل ما له ارتباط بالأحداث العسكرية من حروب ومعارك وتواريخ قيام الدول وسقوطها[٣١].

ومع ظهور مدرسة الحوليات مع بداية النصف الأول من القرن العشرين بفرنسا، وتأسيس مجلة الحوليات (les Annals) سنة ١٩٢٩، ستأخذ الكتابة التاريخية أبعادا جديدة سوسيولوجية و لسانية وجغرافية و ديموغرافية ، و تحول التاريخ إلى دراسة كل ما له علاقة بالإنسان، وأهتم المؤرخ بالمدد الزمنية الطويلة، بعدما كان أسير زمن الحدث التاريخي القصير، وفي هذا السياق برز نجم المؤرخ الفرنسي فرديناند بروديل (F. Broudel) الذي يعتبره الكثير من المؤرخين المعاصرين رائد الكتابة التاريخية في العصر الحديث. فهو – وبشهادة هؤلاء– واضع الدعائم الرئيسة لما أصبح يعرف بالتاريخ الجديد، و الذي أصبح من أهم سماته انتفاء الحدود بين التاريخ والسوسيولوجيا والانتروبولوجيا ، ولقد مثلت أطروحته الشهيرة والتي درس فيها تاريخ العالم المتوسطي هذا التوجه ، والتي دعا فيها إلى تجاوز ونبد التاريخ – السردي /الإخباري، القائم على دراسة الوقائع السياسية البسيطة في الأزمنة القصيرة،

---

[٣٠] خيري علي إبراهيم، تطور مناهج التاريخ على ضوء مدخل المفهومات، المجلة العربية للتربية، المجلد ٧،العدد ١،١٩٨٧، ص ٧٨.

[٣١] جودت أحمد سعادة، مناهج الدراسات الاجتماعية، دار العلم للملايين ،لبنان، الطبعة ١، ١٩٨٤، ص : ٣١٥.

والانتقال إلى دراسة تاريخ البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك في سياق المدد الزمنية الطويلة (les longues durées) بهدف رصد مدى تفاعل الإنسان مع مجاله الجغرافي [٣٢].

لقد ساهم ظهور هذا الاتجاه الجديد في الدراسات التاريخية في إثارة مجالات جديدة للبحث، كتاريخ الذهنيات والطقوس اليومية والخوف والجسد...الخ. خصوصا وأن البحث التاريخي اغتنى بمناهج جديدة و متنوعة. وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف الفرنسي (ميشال فوكو) :

" يتوفر المؤرخون على أدوات صاغوها بأنفسهم في جانب منها، و تلقوها في جانب أخر كنماذج النمو الاقتصادي، والتحليل الكمي ومنحى التغيرات الديمغرافية، ودراسة المناخ وتقلباته، ورصد الثوابت السوسيولوجية. لقد مكنتهم تلك الأدوات من أن يبينوا داخل حقل التاريخ طبقات رسوبية متباينة، فحلت مكان التعاقبات الخطية التي كانت حتى تلك الآونة تشكل موضوع البحث التاريخي عمليات سبر الأغوار وتعدد مستويات التحليل" [٣٣].

وعليه فان دراسة الماضي أصبحت تقوم على رؤية متعددة المقاربات. فبذل النظر إلى الوقائع التاريخية المدروسة من وجهة نظر أحادية الجانب لتفسيرها وتعليلها، أصبح لزاما على المؤرخ إستحضار كل العناصر والعوامل الأخرى، والتي قد يكون لها دور في بناء الأحداث و الوقائع التاريخية. ومن المعلوم ، أن علم التاريخ يدرس ظواهر إنسانية والظاهرة الإنسانية كما هو معلوم تتميز بالكثير من التعقيد ، حيث تتداخل في توجيهها عوامل كثيرة إلى درجة يصعب حصرها، وتحديد نصيب كل منها في توجيه الظاهرة التاريخية المدروسة ، وهو الأمر الذي يستوجب على المؤرخ استحضار كل الأبعاد و المستويات التي تدخل في تركيبة الحياة الإنسانية (بيولوجية، نفسية، ،اقتصادية، اجتماعية سياسية...). مما يطرح الكثير من المشكلات أمام المؤرخ أثناء دراسته للتاريخ.

---

[٣٢] عبد الله العروي، المصدر السابق، ج٢،ص ٣٨.

[٣٣] عمر فروخ، تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه (إعادة النظر في التاريخ)، دار الباحث، بيروت، الطبعة ١، ص١٠.

إن النقلة الحديثة التي تحققت في مجال المعرفة التاريخية، سواء على مستوى المواضيع والقضايا التي أصبح المؤرخون يدرسونها، أو على مستوى مناهج البحث والمقاربة للظاهرة التاريخية المدروسة. مرتبطة- والى حد بعيد – بالحاجيات الجديدة للمجتمع الحديث، وكذا المشكلات الراهنة التي تواجه الإنسانية جمعاء. وفي هذا الصدد ميز أحد الدارسين بين اتجاهين رئيسيين في الكتابة التاريخية : اتجاه تاريخي تقليدي، واتجاه حديث، خاصة بعد أن تبين فشل و عجز الاتجاه التاريخي الأول عن مسايرة التطورات التي أصبحت تعرفها الإنسانية في الوقت الراهن. إضافة محدوديته المعرفية والنفعية. يشير الفيلسوف الفرنسي المعاصر ادغار موران إلى أن المعرفة الملائمة يتوجب عليها أن تواجه ما هو مركب و أن تصل بين مختلف العناصر المكونة للكل(الاقتصادي، السياسي، النفسي، الوجداني، الأسطوري...)[٣٤] .

كما أن من واجب التربية الحديثة أن تطور القدرة الطبيعية للفكر البشري على طرح المشاكل الجوهرية. ومنه، فان دراسة التاريخ لا يجب أن تنحصر فقط في معرفة الماضي و إنما لابد أن تسهم في فهم الحاضر الإنساني بكل تعقيداته ومشاكله، واستشراف مستقبل أفضل للبشرية [٣٥].

الخاتمة

إذا كانت المعرفة بالماضي هي بالضرورة معرفة نسبية ومشروطة بمنهجها، فإن القبول بهذا المعطى يجعلنا نقول باستحالة استعادة الماضي كما هو، لذلك يدفعنا التفكير الفلسفي في مفهوم التاريخ إلى عدم الاطمئنان لأي أثر أو وثيقة تاريخية، ما لم نخضعها للنقد الخارجي والداخلي؛ فالمؤرخ مثلا، لا يكفي أن يحقق الواقعة التاريخية، وينفض عنها غبار الشك والريبة، إنما يترتب عليه أن يعيد بناء التاريخ انطلاقا من الوقائع التي حققها، خاصة وأن هذه الأخيرة لا تحتل مكانها في التاريخ إلا إذا أدمجت في سياقها؛ فالحدث التاريخي إذن، هو واقعة مبنية وليست معطاة. على هذا الأساس تتحدد الرهانات المتعلقة بكتابة التاريخ، وبطريقة استحضار الماضي. فإلى أي حد ستظل المعرفة التاريخية تحديا كبيرا

---

[٣٤] محمد وقيدي، التاريخ الذي لم ينتهي بعد والتاريخ الذي لم يبدأ بعد، مجلة فكر ونقد، العدد ٧ مارس ١٩٩٨، ص :١٥.

[٣٥] Suzanne Citron , Enseigner l' histoire aujourd' hui , Paris , 1984 , p 30.

يواجه الفاعلية البشرية، رغم تطور العلوم والوسائل التكنولوجية التي تساعد على توثيق وتأريخ الوقائع والأحداث التي تسير في اتجاه تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية للدول؟

فقد نقول بخضوع سيرورة التاريخ لمنطق خاص يتجسد في التناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقاته، باعتبار هذه الأخيرة أساس الصراع الطبقي الذي يحرك التاريخ ويؤثر في مساره؛ إلا أن هذا التصور ينفي دور الصدفة والعرضية، خاصة وأن سيرورة التاريخ غالبا ما تكون مفتوحة على عالم من الممكنات؛ فتاريخ الإنسان هو أيضا ما يفاجئ ويذهل ويفزع ويحطم كل التوقعات، وإلا ما كانت بعض المفاهيم أن تتميز عن بعضها البعض، كالطفرة، التغير، القفزة النوعية، الثورة...إلخ.

يتضح مما سبق أننا أمام وضع إشكالي حقيقي يتمثل بين كون التاريخ نوعا من التحرر الهادف –على غرار ما يقوم به المحلل النفساني– إلى تخليص الذات الفردية من آثام ماضيها حتى تتحرر منها، وتحقق الانعتاق والحرية، إلى وضع يكون فيه التاريخ بمثابة فكرة مطلقة لا يسعى إلى تحقيقها غير العظماء الذين أدركوا روح التاريخ والمجتمع وما يصبوان إلى تحقيقه، وأخيرا إلى وضع يصبح فيه التاريخ بمثابة نتيجة حتمية لأوضاع وظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، تحدد مساره، وترسم معالمه بشكل حتمي، الأمر الذي يجعل من علاقة الإنسان بالتاريخ، علاقة إشكالية بامتياز.

وفي الختام يمكن القول ، إن تجديد الكتابة التاريخية العربية اليوم ليست مطلبا أكاديميا فقط، بل أصبح مطلبا حضاريا كذلك تفرضه حاجة المجتمعات العربية إلى وعي فكري وتاريخي جديد يحاكي الواقع وينتقد كل ما هو معطى سابق . و لذلك فانه من الضروري على المؤرخين العرب ربط كتاباتهم وأبحاثهم بمشكلات العصر الذي يعيشونه و إمداد العقل العربي الحديث بآليات التفكير و المساءلة النقدية، وغرس قيم الاستمرارية والتجديد ونسبية التخلف بين أفراد المجتمع العربي . غير أن تحقيق نقلة من هذا النوع يتطلب تخلي المؤرخين العرب عن الأنماط التقليدية في كتابة التاريخ، والانتقال إلى تصور جديد في كتابة التاريخ يقوم على النقد والدراية